الرواية الجديدة :

بدأت فترة نهضوية متميزة بالأحداث و من أهمها "هزيمة7691" هذه الهزيمة التي أجبرت الروائي العربي إلى إعادة النظر في تيار الرواية الذي كان سائدا قبل الهزيمة ،فهذه الفترة التاريخية ذات الخصوصيات الواضحة دفعت الرواية كشكل أدبي مستحدث أن تنشأ و تتطور عبر كثير من التجارب. و ارتبطت الرواية العربية الجديدة بالتغييرات التي سيعرفها المجتمع العربي و ستنعكس في الرواية لطبيعتها القابلة للتعبير عن كل مظاهر المجتمع الجديدة، حيث يتداخل فيها المتخيل بالواقع. و حاول الروائيون الجدد استيعاب كل التحولات التي وقعت في المجتمع العربي دون العناية بطابع المحلية و حصرهم فيها كما فعل الجيل السابق.

و يؤكد الروائي "عبد الرحمان منيف" على أن هذه الهزيمة شكلت ولادة جديدة للرواية العربية لأنها أحدثت تراكما على مستوى الإنتاج إذ دفعت إلى السطح العديد من الأسئلة و المواضيع الساخنة و التي تتطلب المواجهة والمعالجة ،و ظهر هذا التأثير الذي أحدثته الهزيمة حسب "عبد الرحمان منيف" من خلال ما يلي :

ـ تراجع التيار الوجودي و الواقعي الذي ساد في الخمسينات و الستينات لتطرح بدلا منه رواية تهتم بالهم القومي و قضايا أخرى.

0ـ بهذا التطور تراجع المركز الموجه و المسيطر سابقا و الذي هو "مصر" قياسا بالماضي لتبدأ بقية المناطق العربية تعرف تطو ر هذا الجنس مما أدى الى تغيير خريطة الرواية التي امتلأت بأسماء عربية و إنتاج متنوع تفترق على المستوى الجغرافي و لكنها تلتقي في قضايا و موضوعات مشتركة كالحرية ،و التحرر ،و السياسة ،و الانتماء الوطني و القومي ،و القضية الفلسطينية و الصراع الطبقي.

فهذه الرواية الجديدة عرفت تحويرات في مضامينها و أشكالها، بالمقارنة مع الشكل الروائي السابق ،و خرجت عن نمطها الكلاسيكي المتمثل في الرواية التعليمية و الرومانسية و الواقعية لتصبح ضمن الإطار العام حاملة لخلفية فكرية وراء شكلها الإبداعي.

في هذه المرحلة إذن استطاعت الرواية أن تتطور وتتقدم حيث تخلصت من عيوب الأسلوب و التشكيل، مما جعل الرواية تنفصل أكثر فأكثر عن التقليد الأوروبي و جعلها تعرف التطور و التقدم كمثيلتها الغربية.

فالهزيمة أبعدت الروائيين الجدد عن الرواية التقليدية و أظهرت أنماطا روائية جديدة. فجاءت أغلب الروايات منقطعة عن جذورها الكلاسيكية.

الروّاية العربيةّ المعاصرة :

الرواية كما سبق و ذكرنا هي التي يعالج فيها المؤلف موضوعا كاملا أو أكثر زاخرا بحياة تامة واحدة أو أكثر، فلا يفرغ القارئ من قراءتها إلا و قد أل م بحياة البطل أو الأبطال في مراحلهم المختلفة ،ميدان الرواية فسيح أمام القاص يستطيع أن يكشف أستارا عن حياة أبطاله و يجلو الحوادث مهما استغرقت من وقت.

اتجاهات الرواية في السبعينيات :

جاءت الرواية في فترة السبعينات و ما بعدها بصورة جديدة. فقد تنوعت الرواية إلى حد كبير من ناحية الأساليب و السرد و التخلص من الأسس التقليدية للسرد : كالعرض ،و العقدة ،و الحل . كما تقدمت في التخييل و التصوير.

ـ من ناحية المضامين حاولت استيعاب جميع التحولات التي حدثت في المجتمع العربي مع الخروج عن طابع المحلية ،فتناولت بالتصوير و التمثيل بالأحداث أينما وقعت و اهتمت باله م القومي و القضايا السياسية.

ـ ما يمكن نقول أنه حدثت ثورات عنيفة على الرواية التقليدية و أدت هذه الثورة إلى ظهور اتجاهات جديدة ،و إن كانت متأثرة إلى حد بعيد بالغرب إلا أ ن التأصيل و التكوين ظهرا فيها في أسرع وقت .

و قد تأثر الكثير من الروائيين العرب بهذا الذي أدى إلى ظهور التعبيرات الرمزية في أعمالهم ،مثل رواية " الشحاذ" ل"نجيب محفوظ" و رواية " الزمن الموحش" ل "حيدر حيدر"....
و الذي ساعد على انتشار هذه المدرسة الروائية هي الروايات المترجمة المكتوبة بهذا الأسلوب ،ثم ترجمة مفاهيم علم النفس...

ـ الروّاية الطلّيعيةّ :

هذا هو الاتجاه الآخر الذي انتشر بعد السبعينيات و هو الاتجاه الطليعي أو الرواية الطليعية ، و هي تعني استخدام تقنيات فنية جديدة تتجاوز الأساليب و الجماليات السائدة و المعروفة بهدوء و بطء.

و قد تميزت الرواية الطليعية باستخدام تقنيات السينما و تقطيع الصور و لوحات مستقلة تعطي مجتمعة انطباعا وإحساسا واحدا.

كما تميزت باستخدام المونولوج الداخلي ،والفلاش باك في التصوير و كذلك من مميزاتها الأخرى أسلوبها الشعري ، والنظر إلى الحادثة الواحدة من زوايا متعددة ومختلفة.

من الروائي ين الذين تجل ت هذه العناصر في أعمالهم ،"جمال الغيطاني" و "صنع الله إبراهيم" و "إميل حبيبي" و "جبرا إبراهيم جبرا" "عبد الرحمان منيف" و "إلياس خوري"...

3- الرواية التجّريبيةّ :

هذا الاتجاه أحدث اتجاه ظهر في عالم الرواية و اعتمده المعاصرون بوصفه تقنية جديدة من أجل تجاوز واقعهم الفني المستهلك.

قامت الرواية التجريبية على توظيف البناءات و الأحلام ،و استغلال تقنيات الشعر و اللا شعور و الاعتماد على الوعي واللاوعي و إلغاء عنصري الزمان والمكان. وقد ظهر هذا الاتجاه لبناء أدب مضاد للإبداع المتعارف عليه عن طريق تدمير البنيات الشكلية للرواية و عناصرها الفني ة و تفجير اللغة و الخروج عن الأنماط الروائية السائدة و السير نحو الابتكار. و الدخول إلى عالم مجهول منقطع عن الماضي و الحاضر متفائل بالمستقبل ،و من أشهر هؤلاء الروائيين "أحمد المديني" حيث يرى الرواية فيض لغوي و ثراء لفظي يتجاوز العادي و المألوف خارجا عن البناء الروائي السابق ...

الرواية العربية المعاصرة و المسكوت عنه

إنّ النصّ الروّائي العربي لا يظهر منه إلاّ الجزء البسيط الظاهر أما الجزء الأعظم فيظلّ غير مرئي. و هو يمثّل نصاً غائبا أو موازيا للنصّ الظاهر،و لا يقلّ أهميةّ وتأثيرا عن الجزء الظاهر.

و هذا يدفع الناقّد العربي الحديث إلى البحث عن وسيلة تعينه على اكتناه المسكوت عنه أو المغيبّ في الخطاب الروّائي و إعادة إنتاجه و تأويله اعتمادا على فاعلية القراءة المنتجة حسب رأي الناقد "فاضل ثامر".

و يرى هذا الناقد أن دراسة المسكوت عنه في السّرد العربي يحتلّ أهميةّ في الاستقصاء النقّدي العربي الحديث ،ذلك لأنّ النصّ الإبداعي يجد نفسه في الغالب مضطراّ الصمّت تاركا المزيد من الفراغات،و الفجوات الصاّمتة التي تتطلبّ جهدا استثنائياّ فاعلا من جهة التلّقي

و القراءة...

و يرجع الكثير من مظاهر الغموض و التشويش و الترميز في الخطاب الروّائي العربي إلى تزايد المساحات البيضاء في النصّ المكتوب.

ففي الزمّن الرآهن يمكن التأّكيد كما يقول النآقد السّابق بأنّ تمركز الدّولة الوطنيةّ قد مارس عمليةّ تغييب الكثير من العناصر في الخطاب و دفعها إلى منطقة العناصر الغيآبيةّ ،لذا تزداد نسبة القمع و المسكوت عنه بصورة كبيرة ،كلمّا ازدادت مركزيةّ حضور القامع في الحياة السياسيةّ و الاجتماعية و الثقافيةّ العربيةّ .

فالمسكوت عنه و المغيبّ هو في الغالب ناجم عن ضغط القامع السّيآسي و الاجتماعي معا و يظل القارئ بحاجة ماسّة لنبش السّجلات السّياسيةّ و الاجتماعية و الثقافيةّ لردم الفجوات العميقة الموجودة في سطح النسّيج الروّائي.

انطلاقا من ذلك يظهر أنهّ في وسع النقّد المعاصر أن يعيد فحص الكثير من الخطابات الروّائية العربيةّ الحديثة لينقّب عن تجليّات المسكوت عنه والمغيبّ المقموع ،و ربط كل ذلك بالسّياق الثقافي و التاريخي ،و بالتجربة الحسّية للإبداع لإماطة اللثام عن النصوص الغائبة أو الموازية ، و رؤيا العالم و أيديولوجية النص و الدّلالة الثقافية و الفكرية ،و الأشكال والأنساق السّردية التي يتحركّ من خلالها النص و التي تتضافر مع العناصر الحضوريةّ و الظاهرية لإعادة تشكيل وتكوين الصورة المشوهّة للخطاب الروائي الأصلي.

و يُعتبر المسكوت عنه تيمة قديمة في تاريخ الكتابة إذ عرفت عند كل الأمم و في شتىّ الحضارات العالمية ،و قد عبرّت عن تيمة المسكوت عنه بشتى الأساليب و الفنون واللغّات.

و التّراث العربي مملوء بالصيغ التي تتحاشى بعض الحقائق و تنتمي إلى تيمة المسكوت عنه ، حيث استعملت النكّتة و الشعر و الأخبار التي وردت في الكتب التّراثية كـ"البيان والتبيين" ل"الجاحظ"الجزء الرابع" و "عيون الأخبار" ل"إبن قتيبة" و كتاب" الأغاني " ل "الأصفهاني" و "مقامات " " الهمذاني " الشاميةّ التي حذفها بعض الدارسين لما احتوته على الكثير من المشاهد و مسكوتات عنها.

و لم تختف هذه التيمة من كتابات العرب في كلّ العصور و تجلتّ الآن في الكتابة الروائية أكثر من الشعر.

عمد النقاد إلى حصر تيمات المسكوت عنه في ثلاثة مواضيع : الجنس، السيآسة، و الدّين .

و هي الكلمات الدّالةّ على قضايا مسكوت عنها وتناولها الروائيون بأساليب متفاوتة تتراوح بين المباشرة والإيحاء، و التلميح والتصريح. أحيانا تجتمع هذه المواضيع في نص واحد و لكن بنسب متفاوتة حيث يميل الروائي إلى تكثيف إحداها على حساب الأخرى. و لذلك أسباب أسلوبية ،و منظورات فنيّة، ومقصديات موضوعية و ذاتية تصاحب الخطاب الأدبي.

الرواية و توظيف التاريخ للتعبير عن المسكوت عنه :

من المتغيرات و ربما الجديدة التي نرصدها في بعض الروايات، و يتعلق بالمسكوت عنه الرجوع الى التاريخ القديم والمعاصر لاستلهامه و لكن ليس من خلال التاريخ الرسمي و المُعلن والمكتوب بوصفه تاريخا ،و لكن بالبحث عن المسكوت عنه : سياسة ، و جنسا، و دينا. بوعي معاصر إن لم نقل جديدا.

فالكاتب يملك وعيا ثاقبا حيث يتجلىّ هذا الوعي داخل النص الروائي ،لأنّ الماضي لا يُهم في ضوء الماضي ،و إنما يدرك في ضوء الحاضر و الرواية تمتلك حق امتلاك الماضي.

و قد حضر المسكوت عنه بكلّ أنواعه : الجنس ، و الدين و السياسة لا كما يتمثّل في التاريخ ،بل كما يُتمثل افتراضا على أرض الواقع حيث يستحضر الروائي التاريخ و يوظفه ضمن بنية جديدة. لأنّ الروائي يملك المبررّ المشروع في أن ينظر فيما لا ينظر إليه التاريخ ،أو لنقل ما يتجاوزه و لا يسجله تماما كما ينظر إلى الواقع فيرى ما قد لا يراه الآخرون يقول "صنع الله إبراهيم" : "لايصف الروائي الواقع بل يستخلص منه ما يعطي الرواية معنى ،وما يتحصلّ عليه
القارئ من رواية هو غير ما يتحصلّ عليه من بحث في التاريخ ،فالرواية تجُمّل له ما يطويه ذلك التاريخ من أسرار و خفايا وعدالة و ظلم ،و هو ما يتعذّر وصفه بالبحث ورصده بالتاريخ".

و فيما يجعل التاريخ القارئ مشرفا على تيار الأحداث ،يجعله السّرد يخوض فيه ،و عند هذه النقطة فلا فائدة من السؤال عن الحصيلة المعرفيةّ للسّرد ،بل السؤال عن تشكيله للصوّر الذهنية ،عن الأخلاق ،و العادات ،و أنماط العيش والحريّات والكراهيآت...و غير ذلك من الركّائز الاجتماعية الكبرى التي يقع تمثيلها و ليس تقريرها.

و بما أنّ الروائي ليس مؤرخّا ،و وظيفة هذا تختلف عن وظيفة ذاك فإنّ الصوّر الذهنية و هي قوام الكتابة السّردية تعطي لقارئ الرواية ثمّ لكاتبها معنى مصورّا عن العالم ،أي تعرض عليه أشكالا عديدة للعالم إلى درجة يتكاثر فيها فيصبح مطلعا على عوالم بعدد الروايات التي يقرأها و يكشف مابين سطورها من صور ربما تمثّل مسكوتا عنه لم يذكره التاريخ ،فكلّ عالم سردي يعرض رؤية ما و يبينّ أفعال شخصيات معينّة و يتركبّ بأحداث غير تلك التي يتكونّ بها عالم سردي آخر ،و يعبرّ عن حقائق غير مُعبرّ عنها في عالم سردي آخر و مسكوتا عنها و لكنها تدُرك بفطنة في عالم سردي ثالث.

فالرواية كتبت التاريخ المعاصر الذي لم يكتبه المؤرخون متطلعّة إلى تاريخ سويّ محتمل ، فالقراءة المجتمعيةّ للرواية تقم بتصحيح ما جاء به المؤرخّ و تذكر ما امتنع ذكره ،فالكتابة الروائية "علم التاريخ" الوحيد ،فهي كتابة موضوعية تسائل ما جرى دون حذف أو إضافة.و لكن هذا لا يعني أنّ معيار الحكم على العمل الإبداعي هو المضمون فقط بل يجب أن يكون مضمونه متقولبا ضمن الشكل الإبداعي الذي يعطيه هويتّه الإبداعية و يحميه من الوقوع في الخطابية و الوعظية ،التي تحولّ النص إلى مقالة اجتماعية أو سياسية جافةّ لا روح فيها.

لكن هل مواجهة النص للثالوث المحرم يجعلها تقع في الرتابة والملل؟

الحقيقة ليست كذلك لأنّ تحدّي هذه الطابوهات و التسلّل إلى قلاعها و تفكيكها و فضحها كانت هي البيئة الطبيعيةّ التي منحت الرواية العربية إكسير الحياة و بالتالي منحت السّرد العربي شرعية الحياة و بهذا منحت نفسها عمرا أطول و صلابة أشدّ رغم حنق الغاضبين عليها.

من هذا المنظور نناقش موضوع المواجهة التي تطلقها النصوص الروائية ضدّ الطابوهات التقليدية وتفرعاتها التي لا تنتهي.

الخطاب الروائي السياسي :

تنوعّت الخطابات التي تحاول السيطرة على الفضاء العام للمجتمعات و تقدم تاريخها الخاص بها. فالخطاب الرسّمي يحصي إنجازاته العظيمة ويقول أن الناس و البلاد على ما يُرام و الخطاب المجتمعي الذي ينتقد بوجل إخفاقات السلطة ،و لذا يمُكن أن يكون متواطئا معها في الدّفاع عن الوضع القائم كما هو مقدّسا إياه و محاربا كلّ جديد. لذا فإنّ الرواية هي المرآة التي تكشف الواقع المخبوء ،و نجد الكتابة السياسية و مواضيعها الساخنة تصطدم بالسلطة و بالتالي تتعرض للقمع. و من ثمّ أصبح الروائيون يتوسّلون بالتاريخ السياسي في انتظار تغيرٌّ في النظام و السلطة المتحكّمّة في العقول.

و نجد أن الروايات التي تناولت موضوع السياسة في العالم العربي يكون كتاّبها أحد الوجوه الثلاثة : مناصرون ،أو ناقدون.

و يكون الكتاّب المناصرون أكثر أدائية على مسرح الحياة الإبداعية العربية. أمّا الناقدون للسياسة العربية فإنهّم عادة ما يتناولون في أعماهم مواضيع ذات علاقة بتاريخ السياسة و لا يجرؤون على ملامسة مناطق الظلال مباشرة فالعمل الروائي هو الصورة
المخفيةّ للصورة البرآّقة التي يعطيها الخطاب الرسمي ثمّ يؤرخّها.

و في هذا المجال نتوقف مع تجربة "صنع الله إبراهيم" الكاتب المصري لتكون مثالا حقيقيا لما نناقشه حيث أنّ هذا الكاتب عاش مختلف مسارات الإخفاق العربي ،بدءا بهزيمة 1967 فجاء متنه الروائي تأريخا جمالياّ وفق رؤية نقديةّ لتجلياّت ذلك على الحياة اليوميةّ ،و قد استلهم هذا الروائي الفذ الملتزم موضوعات سياسية كبيرة و دسمة حولّها إلى حيزّ الكتابة الروائية مخضعا إياها لقوانينها الخاصةّ مثلا رواية "تلك الرائحة" نجدها بيان انتقادي لحكم الرئيس "جمال عبد الناصر" ،و رواية "نجمة أغسطس" كانت عبارة عن رصد لحيثياّت بناء "السدّ العالي"، بينما نجد رواية "بيروت بيروت" تستعيد تفاصيل الحرب الأهلية اللبنانية ،و رواية "برلين 69 " التي يعتبرها "صنع الله إبراهيم" أنضج أعماله. في هذه الرواية استثمر النتائج النفسية المترتبة عن فصل "جدار برلين " ل" برلين الشرقية " عن "برلين الغربية" حقبة الحرب الباردة و مدى اختلاف الظروف المعيشيةّ بين نصفيّ البلد الواحد كي يصل إلى انتقاد المآل البيروقراطي للتطبيق الاشتراكي الذي قتل منابع الحياة و تشيأّت معه إنسانية الفرد سواء في "ألمانيا" أو في "مصر". هذه الرواية كانت بمثابة استحضار لذات المكان و الزمان مع مختلف دلالات الفترة التاريخية فترة الحرب الباردة بين المعسكر الاشتراكي و الرأسمالي والصرّاعات الإعلامية و الإيديولوجية .

الخطاب الديني :

النص الروائي هو الصورة الخفيةّ "النيجاتيف" للصورة المثالية التي يقدمها الخطاب الديني على رافعة " إننّا خير أمّة أُخرجت للناس". فمنذ دخل فن الرواية العصر الحديث و النص يواجه محرمّ الدين إلى جانب محرمّي الجنس والسياسة في المجتمع العربي.

حيث كما يقول بعض المفكّرّين أن هذه الطابوهات تتحكّمّ في الشعوب العربية و تقمع تطلعّاتهم و تدّعي الدفاع عن المجتمع والمحافظة عليه ،يتحالف السياسي مع رجل الدّين لكبت كلّ إشراقة إبداع فيهم ،لذا نجد نداء المبدع عبر نصه هو نداء الحريّة الدّينية و السياسية و أن يسيطر الفرد على ذاته.

و تكاد الروايات التي تدور حول قضايا متعلقّة بالدّين تلحّ على قضايا المرأة التي يراها بعض المبدعين مظلومة ،و يحاولون الدعوة إلى تحريرها ممّا يرونه عائقا أمامها كالدّين مثلما يجدون أن الفهم الخاطئ للدّين هو العائق الحقيقي أمام التطورّ. و يبدو أنّ أصحاب الأعمال الروائية التي تخوض في موضوع المقدّس والمدنسّ في الدّين يصلون إلى حدّ العدائية في أعمالهم أحيانا.

على الكاتب أن يدرك أنهّ يكتب عن المجتمع ويتوجّه إليه ومن حقّه أن يكتب ما يشاء ،و لكن عليه ألاّ يكون متطرفّا في أفكاره حتى لا يحدث الفزع لدى القارئ ،فالتهّم الجاهزة و الأحكام المتسرعّة تدمّر المجتمع و الإنسان معا.

و نمثلّ للأعمال الروائية الكثيرة التي تناولت موضوع الدّين من وجهة نظر معينّة برواية "وليمة لأعشاب البحر" أو "نشيد الموت" للروائي "حيدر حيدر".

تدور أحداث هذه الرواية حول مناضل شيوعي "عراقي" هرب إلى "الجزائر" والتقى بمناضلة قديمة تعيش عصر انهيار الثورة والخراب الذي لحق بالمناضلين. إذن الروائي يعالج حدث معاناة مسرحها "العراق" و "الجزائر" و الثورة هي العنصر المشترك بينهما و الإخفاقات و الأوجاع المشتركة بين البطلين"مهدي جواد" البطل الهارب من مآسي "العراق" و "فلةّ" الجزائرية و هما الناّجيآن أو الهاربان من البلد الذي وقع تحت الحكم العسكري. يعالج "حيدر حيدر" غربة الإنسان الذي ضلّ عن الحياة أو أضاعها في عالم الإنسان المقهور بالثورات و هل يفقد الإنسان إيمانه في هذه المعاناة...إنها مواضيع ذات أبعاد فلسفية .

و قد أثارت هذه الرواية جدلا و تسببّت في ردود فعل غاضبة من جانب المسلمين و منعها الأزهر بدعوى الإساءة للإسلام حيث تمثلّ في ميزان العقل و الأدب و الإسلام الخروج عن الدّين بعد اتهام مؤلفها بالتطاول على الدّين الإسلامي من خلال بعض العبارات التي جاءت على لسان أبطاله و كانت خارجة عن حدود الدّين خلال مسيرة الأحداث.